

دور التراث العلمي واللغوي في وضع المعجم العربي الحديث المتخصص

د. عبد اللطيف عبيد (*)

اللغويّ في أن استخدام المصطلح التراثي ضرورة تختمها حقيقة اللغة، وهي أنّها مؤسسة اجتماعية وملك للجماعة، لذلك فإنه من واجب الفرد أن يستخدمها كما وصلت إليه، وألاّ يغير فيها أو يخرج عنها إلاّ لأسباب وجيهة، إضافة إلى ضرورة توافر معايير المقبولة في البديل الذي يقدمه. أما السبب الحضاريّ الذي يجعل من الرجوع إلى التراث أمراً ذا أولوية ووضع التسميات المصطلحية العربية فهو ما نعلمه من حرص العرب على استمرارية لغتهم ووحدها عبر الزمان، وتجنّب قطيعتها عن ماضيها، إضافة إلى حرصهم على وحدتها عبر المكان.

وما فتئت الجامعات والهيئات العلمية واللغوية والندوات المصطلحية تشدد على أهمية التراث وضرورة إبلاغه الأولوية في ما يستخدم من وسائل لوضع المصطلحات الجديدة، من ذلك أنّ " ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلميّ العربيّ " التي عقدها بالرباط، مكتب تنسيق التعريب من 18 إلى 1981/2/20 قد نصّ المبدأ السادس من " المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلميّة ووضعها " التي أقرّها على " استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلميّة الجديدة بالأفضليّة طبقاً للترتيب التالي: التراث فالتوليد بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت ".

المصطلح قوام المعجم المتخصص، وأداة رئيسية لا غنى عنها في نقل العلم والتّقانة وتبادلها ونشرها وتوطئتهما بالترجمة والتأليف والتدريس والإعلام.

والمصطلح علاقة بين مفهوم وتسمية، أو هو، بتعبير أدقّ، تسمية تختصّ بالدلالة على مفهوم علميّ أو تقنيّ أو حضاريّ في مجال محدّد.

ويُطرح موضوع التسمية من زاوية ما يسمّى في علم المصطلح بالموارد المعجميّة أو المصطلحيّة. ومن المعلوم أنّ المفهوم سابق للتسمية، وأنّ التعامل مع المفاهيم وبما يقتضي تسميتها. وتتمّ عمليّة التسمية إمّا باستخدام التسمية القديمة الموجودة في اللغة، أي إعادة استعمالها أو إحيائه، وهذا بالنسبة إلى المفاهيم المعروفة المتداولة، أو المفاهيم الجديدة التي لها علاقة مشابهة بالمفاهيم القديمة أو بتوليد التسمية من اللغة توليداً لفظياً بالاشتقاق أو التركيب أو النّحت أو الارتجال، أو توليداً دلاليّاً بالمجاز أو الترجمة الحرفيّة، وإما باقتراض التسمية من لغة أجنبيّة أو من مستوى آخر من مستويات اللغة المتعيّة. وعلى صعيد أهمية استخدام هذه الوسائل يأتي استخدام التسميات الموجودة، ولا سيّما التسميات التراثية منها، في المقدّمة وذلك لسببين رئيسيين: لغويّ وحضاريّ، ويتمثل السبب

(*) المعهد العالي للغات - جامعة تونس

وعلى الرغم من أن أثر هذا المعجم في الأعمال المصطلحية اللاحقة قد كان ضعيفاً بسبب عدم نشره وتداوله، فإن منهجية إعداده دالة على وعي بضرورة ربط حاضر اللغة العربية العلمية في النصف الأول من القرن التاسع عشر. بماضيها الزاهر، وبأهمية الإفادة من التراث العلمي واللغوي سواء بإحياء المصطلحات التي لاتزال صالحة للاستخدام أو بتضمين الألفاظ اللغوية معاني جديدة تنتقل بها من معانيها الأولى إلى معانٍ اصطلاحية علمية وتقنية. ويرى مصطفى الشهابي في سياق حديثه عن النهضة العلمية في مصر في القرن التاسع عشر " أن النقلة والمؤلفين والمصححين فيها كانوا رواد نقل العلوم الحديثة إلى لساننا، وأهم كانوا يرجعون في تحري المصطلحات العربية إلى كتبنا القديمة، ويستخرجون منها ما يرون استعماله من ألفاظ صحيحة. وقد استطاعوا الانتفاع بجملة صالحة منها في مختلف العلوم التي عاجلها بالترجمة أو بالتأليف (...). ومع هذا كما لا مشاحة فيه أن مصطلحاتهم المقتبسة والموضوعة كانت نواة جيدة لجميع من ألفوا بعدهم كتباً علمية بلغتنا الضادية" (6)

وفي النصف الأول من القرن العشرين طُرح موضوع إحياء التراث العلمي واللغوي بهدف الإفادة من مصطلحاته وألفاظه في وضع المعجم العربي الحديث المختص وذلك في إطار الجامع ولسدى المصطلحيين الأعلام، ونعني بهم خاصة محمد شرف مؤلف "معجم العلوم الطبية والطبيعية" وأحمد عيسى مؤلف "معجم أسماء النبات"، وأمين المعلوف مؤلف "معجم الحيوان"، ومصطفى الشهابي مؤلف "معجم الألفاظ الزراعية" (7)، ومرشد خاطر وأحمد حمدي الحياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي مترجمي "معجم المصطلحات الطبية" للدكتور أ.

وقد كان للتراث اللغوي والعلمي أثر واضح في ما وُضع من تسميات مصطلحية في بداية النهضة الحديثة في البلدان العربية عامة ومصر خاصة، من ذلك أن كثرة الكتب الطبية التي ترجمت في عهد محمد علي قد تطّلبت عمل قاموس طبي بالوضع أو الترجمة "فأحضر كلوت بك من فرنسا " قاموس القواميس الطبية " Dictionnaire « des dictionnaires de médecine تأليف فابر (Faber) وهو في 8 أجزاء ويشتمل على جميع الاصطلاحات العلمية والفنية في الطبّ والنبات والحيوان والعلوم الأخرى المختلفة المتصلة بالعلوم الطبية" (1) ويذكر الشيخ محمد بن عمر التونسي أن مدرسة الطبّ قد تعاونت بكلّ هيئاتها على ترجمة هذا القاموس إلى اللغة العربية " ففرقه ناظر المدرسة إذ ذاك " وهو الدكتور برّون " على مهرة معلّمها (...). فترجم كلّ منهم الجزء الذي أعطيه، واجتهد في توقيع لفظه على المعنى حتى شكرت مساعيه" (2). على أن الدكتور برّون قد أحبّ إثراء هذه الترجمة بالألفاظ والمصطلحات الطبية القديمة، فوزّع القاموس المحيط للفيروز آبادي على فريق المترجمين، وأشرك معهم مصححي المدرسة - ومنهم الشيخ محمد بن عمر التونسي وأمر كلّاً منهم أن يراجع الجزء الذي بيده، ويتقي منه " كلّ لفظ دلّ على مرض أو عرض، وكلّ اسم نبات أو معدن أو حيوان" (3). ويذكر التونسي أن الدكتور برّون خصّه " باستخراج ما في القانون من التعاريف، وما في تذكرة داود من كلّ معنى لطيف، وزدت على ذلك ما في فقه اللغة، ومختصر الصحاح، وما في المروزي من التعاريف الصحاح... " (4). وكانت نتيجة هذا العمل المصطلحي الجماعي المهمّ معجم "الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية" (5).

عن استيعابه. وتتضح إفادة هؤلاء المصطلحيين الأعلام من التراثين اللغوي والعلمي، سواء من خلال مقدمات معاجمهم، أو مما اقترحوه من مقابلات عربيّة تراثية للمصطلحات الأجنبية الإنجليزية أو الفرنسيّة. فمصطفى الشهابي في مقدّمة معجمه الشهير- "معجم الألفاظ الزراعيّة"⁽¹²⁾- يعدّد أنواع المؤلفات المعجميّة والمصطلحيّة التي رجع إليها فيذكر، بالنسبة إلى كتب اللغة، أنه عمد "في تحريّ أصلح الألفاظ العربيّة إلى الأمهات من كتب اللغة، ولاسيّما المخصّص لابن سيده والقاموس المحيط للفيروز أبادي"⁽¹³⁾، فأخرج منهما عدداً كبيراً من التسميات التي تتصل بالعلوم الزراعيّة؛ ويذكر، بالنسبة إلى المصنّفات الزراعيّة والطبيعيّة والطبيّة، أنه استقرأ ما وجد من "مصطلحات في مخطوطة كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشيّة، وفي كتاب الفلاحة الأندلسيّة لابن العسّام الإشبيلي (...)"، ومخطوطة فضل الخيل لشرف الدين عبد المؤمن الدماطيّ، والفلاحة اليونانيّة لقسطا بن لوقا، وعلم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، وحسن الصناعة في علم الزراعة لأحمد ندى، وحسن البراعة في علم الزراعة لفيحريّ، والمادة الطبيّة لأحمد الرشديّ، والقانون لابن سينا، ومخطوطة الجزء الخامس من كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوريّ، ومخطوطة الجامع لصفات أشنات النبات للإدريسيّ... إلخ"⁽¹⁴⁾، وذلك بالإضافة إلى مفردات ابن البيطار، وحياسة الحيوان للدميميّ، وكشف الرموز لعبد الرزاق الجزائريّ، ورسائل الأصمعيّ في الخيل والنبات والشجر، "وغير ذلك من الكتب القديمة والكتب التي ألفت في النهضة الحديثة في مصر والشام"⁽¹⁵⁾. وذكر الشهابي أيضاً أنه اقتبس ألفاظاً وضعها أو حقّقها مؤلفون معاصرون مثل أمين المعلوف صاحب معجم الحيوان والمعجم الفلكي، وأحمد عيسى

ل كليفييل⁽⁸⁾. وقد دعا بجمع اللغة العربيّة بالقاهرة إلى ضرورة العودة إلى التراث العلميّ لدراسته واستقراء مصطلحاته وجردها بهدف تكوين المدوّنات المصطلحيّة التراثية الوصفية لينطلق منها في العمل على التسميات التي ينبغي للمعجم العربي الحديث أن يتضمّنّها بالاقتدار أو الوضع. وقد تجسّمت هذه الدعوة خاصّة في قرارات- أي توصيات- أصدرها المجمع، ونشر منها إلى قرارين صدر أولهما في الدورة الثانية عشرة (1945) وثانيهما في الدورة الحادية والعشرين (1954). وينصّ القرار الأوّل على أن "ينظر المجمع في اختيار مختصّين بشؤون العلوم العربيّة لإخراج المصطلحات العلميّة القديمة من الكتب العربيّة، وعرض كلّ فرع على اللجنة المختصة، وإذا لم تكن لجنة مختصة تشكّل لجنة جديدة"⁽⁹⁾. أما القرار الثاني فينصّ على أن "تدرس كتب العرب القديمة المتصلة بالمصطلحات العلميّة، ويعمل لكلّ كتاب منها معجم بالمصطلحات التي وردت فيه، بحيث تكون هذه المعاجم في متناول الأيدي عند التعرّب"⁽¹⁰⁾. على أننا لا نعرف لجمع اللغة العربيّة بالقاهرة ولسائر المجامع اللغوية العربيّة أعمالاً تطبيقية

شاملة في مجال إحياء المصطلح العلميّ العربيّ القديم، على الرغم من تواصل الدعوة إلى هذا الإحياء سواء في مؤتمرات هذه المجامع أو على صفحات مجلاتها⁽¹¹⁾.

أما المصطلحيون الأعلام، الذين سبق أن أشرنا إلى أبرزهم في النصف الأوّل من القرن العشرين، فقد جمعوا بين التخصص العلميّ والخبرة اللغوية ومعرفة التراث والقدرة على التعامل معه. وقد سمح لهم ذلك بالعودة إلى أمّهات كتب اللغة ومؤلفات العلماء القدامى، فأفادوا منها إفادة واعية، وإن كانت، غالباً، محدودة وجزئية بسبب ضخامة التراث اللغويّ والعلميّ وقصور الجهد الفرديّ

استخدام اللغة العربية على الرغم من تعثر جهود التعريب، واتضحت فوضى المصطلحات العربية لأسباب عديدة يهمننا منها، هنا، قلة الجهود المنهجية والتطبيقية المبذولة في مجال إحياء المصطلح التراثي العلمي واللغوي ودراسته، بهدف الإفادة منه في وضع المعجم الحديث المختص⁽¹⁹⁾، وذلك لكون التسمية المصطلحية الملائمة عندما توجد في التراث تكون مستقرة موحدة في الغالب، وبالتالي فإن استعمالها يساعد على تفادي الدلالة على المفهوم العلمي الواحد بأكثر من تسمية⁽²⁰⁾، إضافة إلى أن تلك التسميات التراثية غالباً ما تكون أيضاً "أكثر دقة وأشدّ طلاوة من كلمات مرادفة لها في كتاباتنا العلميّة المعاصرة"⁽²¹⁾.

وإنّ التسميات المصطلحية التراثية الدقيقة الصالحة للاستعمال الحديث في العديد من المجالات والتي غفل عنها المصطلحيون ومؤلفو المعاجم الحديثة المختصة واستعاضوا عنها بمولدات أقل منها دقة وطلاوة، إضافة إلى ما تتصف به من تعدّد وفوضى، تسميات أكثر من أن تحصى. ونحن نكتفي هنا بتقديم مثالين أولهما من مجال الجيولوجيا، وثانيهما من مجال الزراعة:

نجد في العديد من المعاجم الأجنبية العربية المختصة في الجيولوجيا والجغرافيا والطاقة والمياه وغيرها مقابلات كثيرة للمصطلح الجيولوجي الإنجليزي *Aquifer* (وهو في الفرنسية *Aquifère*) الذي عرّف بأنه "مكوّنة تشتمل على ماء (سرير أو طبقة)، وتشكّل من صخور نفاذة أو رمل أو حصى، وقادرة على توفير كميات ماء مهمّة". وهذه المقابلات العربية مولّدت اقترحتها المعاجم الصادر أغلبها في السنوات الثلاثين الأخيرة، ومنها: ذر ماء، محتو على ماء، طبقة صخرية مائيّة، مستودع ماء أرضي، طبقة

صاحب معجم أسماء النبات، ومحمد شرف صاحب معجم العلوم الطبية والطبيعية وماكس ما يرهوف الذي ترجم وصحّح ونشر كتاب شرح أسماء العقار لموسى بن ميمون الإسرائيلي القرطبي، وغيره من المستشرقين والعلماء الأوربيين الذين درسوا نبيت البلاد العربية ووحيشها⁽¹⁶⁾.

ويعدّ رجوع الشهابي إلى التراثين اللغوي والعلمي وإفادته منهما أساسية منهجته المصطلحية القائمة على تفضيل التسمية القديمة - سواء أكانت صحيحة عربية أم معرّبة أم مولّدة سائغة - على غيرها من التسميات. فهو يقول: "كلّما وجدت في المعجمات العربية القديمة، أو في كتب الزراعة والنبات والحيوان القديمة الموثوق بها، كلمة صحيحة عربية أو معرّبة، أو كلمة مولّدة سائغة، لها معنى موافق أو مقارب لمعنى الكلمة الفرنسية أو العلميّة، رجحت تلك الكلمة الصحيحة أو المولّدة الشائغة على غيرها من الكلم، وإذا وجدت في المراجع المذكورة للدلول الفرنسية أو العلميّة كلمتين، واحدة صحيحة، والثانية

مولّدة، رجحت الأولى على رفيقتها، أو ذكرتهما جميعاً"⁽¹⁷⁾. ومن أمثلة المصطلحات التراثية في "معجم الألفاظ الزراعية" مصطلح الـ "فطل" الذي جعله الشهابي مقابلاً للمصطلح الحراجي الفرنسي *Abatage*، (ويقابله في الإنجليزية المصطلح *Felling*) ومرادفاً للـ "قطع" وفضّله عليه - إذ ذكره قبل الثاني - لما في الأوّل من خصوص وفي الثاني من عموم، وعرّفه بأنه "فصل الأشجار عن أروماقها وطرحها على الأرض"، ثم ذكر أنه "في المخصّص (لابن سيده) القطل قطع الشجر وفيه قطلت الشجرة أقطلها فتقطّلت إذا ضربتها من أصلها"⁽¹⁸⁾.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين توسّع

الطلق»⁽²³⁾، ثم حُدث التعريف بسبب الاستعاضة عن الزجاج، خاصة في بلادنا، بالأغشية اللدائية (البلاستيكية) فأضيف إليه ما يلي: "تجهيزات معدة لزراعة بعض الخضراوات والأزهار في غير أوانها (موسمها) لإكثار النباتات" ⁽²⁴⁾. والمقابلات العربية مولدات أيضاً اقترحتها المعاجم أو استنبطتها وسائل الإعلام، وأهمها: دفيئة (وقد وضعه مجمع القاهرة)، مِصْرَى (وقد وضعه اللغوي العلامة الأب ماري أنستاس الكرملي)، وأم، صوبة، بيت مكيف، بيت استنبات، بيت أخضر، بيت زجاجي،... إلخ. وقد غفل مقترحو هذه المولدات ومرجموها عن تسمية عربية مولدة قديماً حفلت بما بعض كتب الفلاحة الأندلسية وهي "البيت المكن". فقد ورد هذا المصطلح في "كتاب الفلاحة" لابن بصال - وهو من علماء القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد - عند حديثه عن زراعة خيار شنبر الذي قال عنه إنه "يوافقه من الأرض والهواء مثل ما يوافق المحيط إلا أن غراسه تكون في شهر يناير ويحين نباته في أبريل، فإذا نبت وقرب فصل الشتاء حجب عنه وأدخل في البيوت المكنة بالليل لئلا ينزل عليه الجليد لأن الحريق يسرع إليه ويخاف عليه ذلك في البلاد الباردة"⁽²⁵⁾. ويتضح من عبارة ابن بصال أن "البيت المكن" أو، إن شئنا اختصاراً، "المكن" تسمية تؤدّي المفهوم التقني الزراعي الذي تدلّ عليه التسمية الإنجليزية Greenhouse أداءً دقيقاً خاصة أن هذه التقنية الزراعية (الكن) قد عرفها الأندلسيون منذ القرن الخامس للهجرة أو حتى قبله، وسمّوا وسيلتها التي لا تختلف عن الوسيلة العصرية إلا في مادتها. والتسمية العربية التراثية - سواء في صيغتها المركبة أو المعدلة المفردة - موحّدة، موحية بالمفهوم، قابلة لأن تتوالد منها تسميات أخرى ضرورية للدلالة على سائر عناصر المنظومة المفهومية أهمها "الزراعة

حاوية للماء، تكوّن مائي، طبقة مائية، طبقة خازنة للماء،... إلخ. وقد غفلت كل المعاجم التي اطلعنا عليها - وعددها يزيد على العشرة - عن التسمية العربية الأصلية التي تتضمنها المعاجم اللغوية، بدءاً من الرسائل اللغوية في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وهي "الحسي". فقد جاء في لسان العرب لابن منظور: "الحسي: الرمل المتراكم أسفل جبل صلد، فإذا مُطِرَ الرمل نَشِفَ ماء المطر، فإذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ومنع الرمل حرّ الشمس أن يُنَشَفَ الماء، فإذا اشتدّ الحرّ نُبِثَ وجه الرمل عن ذلك الماء فنبع بارداً عذبا؛ قال الأزهري: وقد رأيت بالبادية أحساء كثيرة على هذه الصفة (...). الجوهري: الحسي، بالكسر، ما تنشق الأرض من الرمل، فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر عنه الرمل فتستخرجه، وهو الاحتساء..."⁽²²⁾. ويتضح مما ورد في اللسان أن لفظ "الحسي" يؤدّي المفهوم العلمي الذي تدلّ عليه التسمية المصطلحية الإنجليزية Aquifer أداءً دقيقاً لما بين ذلك المفهوم الجيولوجي والمعنى اللغوي للفظ العربي من تطابق تامّ مما يعني عن وضع تسمية جديدة، إضافة إلى أن التسمية العربية الأصلية تتوافر فيها معايير أخرى من معايير المقبولية، أهمها أنها تسمية مفردة، مختصرة، أحادية الدلالة، متواصلة الاستخدام إلى يومنا هذا في العديد من الأقطار العربية خاصة في مجال تسمية أعلام الأماكن.

ونجد في العديد من المعاجم الأجنبية - العربية المختصة في الزراعة وما يتصل بها مقابلات كثيرة للمصطلح الزراعي الإنجليزي Greenhouse (أو Glasshouse أو Hothouse) (وهو في الفرنسية: Serre) الذي عرّف بأنه "بناء من زجاج تستنبت فيه البكائر أو نباتات البلاد الحارة التي لا تتحمل شتاء بلادنا في الهواء

المصطلحيّ المحوسب في استثمار الرصيد التراثيّ المصطلحيّ والمعجميّ الاستثمار الأمثل.

وقد ترتب على غياب مقارنة منهجيّة دقيقة لموضوع المصطلح التراثيّ وندرة الأعمال التطبيقية المتكاملة المستثمرة لهذا المصطلح في وضع المعجم الحديث المختص استمرار القطيعة شبه التامة بين ماضي المصطلح العربيّ وحاضره، والتعسف في استعمال المصطلح التراثيّ، لا سيما في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية⁽²⁹⁾، وهو ما يحتم تأسيس وتطوير علم تاريخ المصطلح التراثيّ من أجل ضبط القيمة التاريخية والعلمية واللغوية للمؤلفات الاصطلاحية⁽³⁰⁾.

وقد اهتمت بعض الدراسات⁽³¹⁾ باقتراح معالجة للرصيد المصطلحيّ العربيّ، بما فيه الرصيد التراثيّ، تقوم على أربع خطوات، هي جمع التسميات المصطلحية وحصرها وتحرير تصوراتها (أي مفاهيمها)، وغربلتها لاستبعاد ما لا يصلح منها للدلالة على المفاهيم، وتخصيصها أي إقامة علاقة أحادية بين التسمية والمفهوم، بما يساعد على إحياء التسميات التراثية وتحديثها وإعمالها وتثبيتها في مجالاتها، ويزيل الفوضى المصطلحية نهائيًا.

ويتضح مما سبق أن دور التراث العلميّ واللغويّ في وضع المعجم العربيّ الحديث المختص قد كان دوراً محدوداً في الغالب، وذلك على الرغم من الانتباه إلى أهميته بل ضرورته منذ بدايات العمل المصطلحيّ العربيّ الحديث في عصر النهضة إبان ترجمة الشيخ محمد بن عمر التونسيّ وزملائه " قاموس القواميس الطبية " من تأليف الفرنسيّ "فابر".

المكبونة" التي نقرّحها مقابل " culture sous abri " وبدلاً من التسميات العربية الأخرى مثل "زراعة تحت وقاء".

والحق أن وعي ضرورة استثمار التراث العلميّ واللغويّ في وضع المصطلح العلميّ والتقنيّ العربيّ الحديث، والذي تواصل في النصف الثاني من القرن العشرين قد عرف التطبيقات العملية الجديدة التي أملاها تطوّر المعلوماتية وقواعد المعلومات، من جهة، وازدهار علم المصطلح وإنشاء بنوك المصطلحات في بعض البلدان الصناعية، من جهة أخرى. ففي جامعة محمد الخامس بالرباط تأسّس، في بداية السبعينيات، " معهد الدراسات والأبحاث للتعريب " الذي أنشأ قاعدة بيانات مصطلحية وصفية، بهدف تدارك نقص رئيسيّ يعانيه ضبط المصطلحات العربية، وهو انعدام المدونات اللغوية التي قد تسمح باستغلال متنسق للأعمال المعجمية القديمة والحديثة من أجل تنظيم المعجم الحاليّ وملء الفراغات الموجودة بالنهل من كنوز العربية الفصيحة"⁽²⁶⁾، إذ " من الضروريّ أن ندرس ونستغل طاقة العربية منهجياً لا فوضوياً. فبدون رصيد من المعلومات والوثائق اللسانية يكون من الوهم القيام بإصلاح جذبيّ... "⁽²⁷⁾. وفي بداية الثمانينيات تأسس البنك الآليّ السعوديّ للمصطلحات: " باسم "⁽²⁸⁾لتحقيق مجموعة من الأهداف في مقدمتها بناء معجم موسوعيّ آليّ، عن طريق توثيق المصطلحات المنشورة، أي استخلاصها من مصادرها ومعالجتها وتوثيق بياناتها. على أن المؤسسات المذكورتين قد قصرنا جهودهما التوثيقية على المعاجم الحديثة المختصة وبعض المعاجم اللغوية الحديثة والقديمة، فلم يساعد على الاستفادة من تطوّر تقنيات التوثيق

عدم الإلمام باللغة العربية دليلاً على قصور هذه اللغة في التعبير وبالأخص في المجالات العلمية المختلفة⁽³²⁾. على أن قضية التراث المصطلحيّ قد لا تكون، في نهاية المطاف، إلّا جانباً من جوانب قضية أعمّ هي قضية واقع العلم والتعبير العلميّ باللغة العربية في الوطن العربيّ وقضية العجز عن تجنيد الطاقات الذاتيّة لتحقيق التنمية المنشودة الأصيلة والشاملة.

ولا تكاد الدعوات المتكررة إلى إنشاء مدونات مصطلحات التراث تضيف جديداً إلى ما رأيناه من بعض توصيات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الأربعينات والخمسينات. وقد برهنت المعاجم التي وضعها بعض أعلام المصطلحيين منذ عشرينيات هذا القرن والبحوث والدراسات التي أنجزها المختصون في العلوم عامّة والعلوم العربية خاصّة أنّ التراث العلميّ واللغويّ يمثل مورداً ثرياً لاغنى عنه للمعجم العربيّ الحديث المختصّ، وأنه " لا يعدّ

الهوامش:

- (12) صدرت طبعته الأولى بدمشق سنة 1943 والثانية بالقاهرة سنة 1957. ومن الطبعة الثانية صدرت نشرة عن دار مكتبة لبنان بيروت سنة 1982 (98+694 XI ص). وكانت الدار نفسها قد أصدرت هذا المعجم، سنة 1978، بالإنجليزية (بديل الفرنسية) والعربية وبعنوان جديد هو: "معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية: إنكليزي-عربي". انظر حول الشهابي ومعجمه: عبد اللطيف عبيد: "المصطلح الفلاحي العربي: تاريخه وقضاياه"، مجلة المعجمية، العدد 8، تونس 1992 (ص 69-122) ص 116-119.
- (13) مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية فرنسي-عربي، ط 3، مكتبة لبنان، بيروت 1982، ص (ج) من المقدمة العربية.
- (14) المرجع نفسه، ص (ج) و (د) من المقدمة العربية.
- (15) المرجع نفسه، ص (د) من المقدمة العربية.
- (16) المرجع نفسه، ص (د) من المقدمة العربية.
- (17) المرجع نفسه، ص (هـ) من المقدمة العربية.
- (18) المرجع نفسه، ص 1.
- (19) نذكر من البحوث والدراسات المهمة التي تناولت موضوع المصطلح التراثي:
- عبد الأمير الأعمش: المصطلح الفلسفي عند العرب، ط 2، الميثة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989، 531 ص.
- محمد السويسي: لغة الرياضيات في العربية، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس 1989، 602 ص.
- أما الأعمال التطبيقية- أي المعاجم المختصة التي أفادت من التراث إفادة منهجية نقدية واضحة- قليلة وتكاد تقتصر، في رأينا، على هسذين المعجمين الشهيرين:
- الجمهورية العربية المتحدة- القوات المسلحة: المعجم العسكري، 2 مج: فرنسي-عربي (641 ص) وإنكليزي-عربي (816 ص)، دمشق 1961.
- مجلس وزراء الصحة العرب واتحاد الأطباء العرب ومنظمة الصحة العالمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم الطبي الموحد: إنكليزي-عربي- فرنسي، ط 4، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1984، و99+760 ص.
- (20) يرى علي العسكري و محمد زايد في "المصطلحات العربية في علوم الأرض" (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 40، ديسمبر 1977، ص 146-156، الرجوع إلى المراجع الخاصة بفقهاء اللغة والمعاجم اللفظية الكبيرة ضروري لتوحيد التعبير في ترجمة المصطلحات العلمية وكم هي وفيرة في عددها ومعانيها ودرجاتها المختلفة" (ص 146).

- (1) جمال الدين الشيبان: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، دار الفكر العربي، القاهرة 1951، (79+228 ص) ص 192.
- (2) نقلاً عن المرجع نفسه، ص 192.
- (3) نقلاً عن المرجع نفسه، ص 192-193.
- (4) نقلاً عن المرجع نفسه، ص 193.
- (5) انظر حول التونسي ومعجم "الشذور الذهبية... إبراهيم بن مراد: أسس المعجم العلمي المختص في الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية "لتونسي"، في المعجم العربي المختص (وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة التي نظمتها جمعية المعجمية بتونس أيام 17 و18 و19 أبريل 1993)، جمعية المعجمية العربية بتونس ودار الغرب الإسلامي، بيروت 1996 (496 ص)، ص 19-49.
- (6) مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القدم والحديث، ط 2، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1965، (219 ص)، ص 45.
- (7) انظر حول هذه المعاجم الأربعة المرجع التالي مثلاً: محمود حافظ: "اللغة العربية في خدمة علوم الأحياء" مجلة مجمع اللغة العربية" 33 (مايو 1979)، ص 79-89.
- (8) انظر حوله: إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985 (353 ص)، ص 271-308.
- (9) مجمع اللغة العربية: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً 1934-1984، أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين وإبراهيم الترسزي، القاهرة 1984، (326 ص)، ص 232.
- (10) المرجع نفسه، ص 233.
- (11) انظر مثلاً: عبد الكريم خليفة: "دور التراث العلمي في تعريف العلوم والتقنيات" في: اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، مجمع اللغة العربية الأردني، عمان 1987، (291 ص)، ص 243-262 حيث يقول (ص 259): "ونحن نعتقد أنه من الواجب أن تنبني إحدى الجهات العربية، من خلال مؤسساتها العلمية، لكي تقوم بتكليف المتخصصين باستقصاء المصطلحات والتراكيب اللغوية التي استعملها العلماء في كتب التراث العلمي العربي و مختلف فروع المعرفة، وترتيبها ترتيباً معجمياً وفق موضوعات العلوم وجزئياتها لكي تيسر عملية اختيار المصطلح الحديث وتحديدده، وتدفع بعملية استيعاب اللغة العربية للعلوم والتقنيات الحديثة على طريق السبر السريع والأصالة".

التراثي في هذه الحالة، المشدود إلى مرجعية خاصة تختلف عن مرجعية المعطيات الحضارية الحديثة، قد يفقد هذه المعطيات حدثها ويفرغها من مضامينها الجديدة ليشدها إلى مضامين مغايرة تماماً... " (ص 22).

ويرى أحمد التوكل في " استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة: اللسانيات الوظيفية نموذجاً" (المرجع نفسه، ص 49-56) أنه " يتوقف استقرار المصطلح المستعار في النسق المتقول إليه، بوجه عام، على مدى نجاح عملية إفراغه من المفهوم الذي كان يدلّ عليه في نسقه الأصلي. وعملية الإفراغ هذه تعني، في الواقع، أن المستعمل للمصطلح أصبح قادراً على أن يفصل فصلاً تاماً بين الحملولة المفهومية القديمة لهذا المصطلح وبين ما أصبح يرمز إليه في الاستعمال الجديد. ويبدو لي أنه من العسير جداً أن يحدث هذا في العالم العربي لما للفكر اللغوي العربي القديم من حضور (...). ويتج عن ذلك، في ذهن المتلقي، تضارب بين المفاهيم تكون الغلبة فيه، غالباً للمفهوم القديم. من شأن هذا طبعاً، أن يشكل أحد العوائق الأساسية التي تحول دون استيعاب النظريات اللسانية الحديثة... " (ص 55).

(30) من توصيات ندوة " المصطلح التراثي بين الأعمال والإعمال" التي نظمتها مجلة " المناظرة" المغربية يومي 29 و 30/05/1991 بالرباط. انظر مجلة المناظرة، العدد المذكور سابقاً، ص 7.

(31) انظر: سعد مصلوح " رصيد مصطلحي بغير استثمار - مثال من حفل اللسانيات"، وقائع ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علمياً وتطبيقاً (تونس 1986/10/7)، المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية، تونس 1989 (523+141 ص) ص 256-276. ويقدم على السكري في "علم الأرض وفقه اللغة العربية" (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 38 (1976) ص 136-139) مقترحاً عملياً طريفاً لاستثمار الرصيد المصطلحي العربي يقول: حبذا لو اتبعنا أسلوباً جديداً في ترجمة المصطلحات العلمية، فبدلاً من أن نترجم المصطلح الأجنبي إلى العربية نبدأ بالمصطلحات العربية الأصل ونحاول إيجاد المقابل لها في الأجنحة سواء كانت الإنكليزية أو الفرنسية أو الألمانية" (ص 138).

(32) علي السكري وزايد محمد زايد: المصطلحات العربية في عصر-الأرض، المرجع المذكور سابقاً، ص 146.

ويرى علي القاسمي في " لماذا أهمل المصطلح التراثي " (المناظرة-مجلة مغربية فصلية تعنى بالمفاهيم والمناهج، ص 4، ع 6 (ديسمبر 1993)، ص 33-40) أنه " إذا كانت اللغة تتوفر على مصطلحات في تراثها، وعمدنا إلى إغفال تلك المصطلحات وإهمالها، وعمدنا على وضع مصطلحات جديدة تعبر عن ذات المفاهيم التي تعبر عنها تلك المصطلحات التراثية، فإن ذلك سيؤدي إلى إحدى نتيجتين لا مفر منهما أو كليهما: إما انقطاع تواصل اللغة وانفصام استمراريتها، وإمّا ازدواجية مصطلحية لا تخدم غرضنا في التعبير الدقيق والتفاهم السريع " (ص 35).

ويرى أحمد التوكل في " استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة: اللسانيات الوظيفية نموذجاً" (المرجع نفسه، ص 49-56)، أن " لاستعمال المصطلحات التراثية في مجال تعريب المفاهيم الغربية مزايا عملية كذلك. فهو يسهم في توحيد المصطلح اللساني العربي المعاصر ويخفف، بذلك، من البلبلة التي تسود في هذا الميدان " (ص 52).

(21) جلال شوقي: "مصطلحات علم الحركة لدى علماء العرب"، مجلة مجمع اللغة العربية، 36 (نوفمبر 1975) (ص 171-195)، ص 193.

(22) ابن منظور: لسان العرب المحيط، مادة (حسا).

(23) مصطفى الشهابي: معجم الألفاظ الزراعية، ط 3، مكتبة لبنان، بيروت 1982، ص 601 (الدخل: sette).

(24) المجلس الدولي للغة الفرنسية ووكالة التعاون الثقافي والسقني: القاموس الزراعي: فرنسي-عربي، بباريس 1985، (61-525 +XIX ص) ص 396 (الدخل: sette).

(25) ابن بصال: كتاب الفلاحة، نشره وعلق عليه خوسي مارية مياس بيكروسا ومحمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان. 1955، (182+231)، ص 85.

(26) أحمد الأخضر غزال: المنهجية العامة للتعريب المواكب، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط 1977 (82 ص)، ص 39.

(27) المرجع نفسه، ص 47. وانظر أيضاً للمؤلف نفسه: المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية-القسم الأول: البحث عن الألفاظ الموجودة في بطون اللغة، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط (د. ت)، ص 40 ص.

(28) انظر مثلاً: عبد الله سليمان القفاري: " نحو استراتيجية مدعمة بالحاسب لمعالجة ونشر المصطلح الطبي العربي" اللسان العربي، 43 (1997) ص 157-190.

(29) يرى محمد عابد الجابري في " حفرات في المصطلح-مقاربات أولية " (المناظرة-مجلة مغربية فصلية تعنى بالمفاهيم والمناهج، ص 4، ع 6، ديسمبر 1993، ص 9-23) متحدثاً عن تجربة رواد النهضة العربية الحديثة " أن استعمال المحيط التراثي، أو إعماله، للتعبير عن معطيات الحضارة الحديثة عملية مخوفة بالمخاطر (...). فالمصطلح